

أنين قلب



قالت: سنوات وأنا أمرن جواسي وأدرّ بها كيف تذوق طعم السعادة، عليها تصل للشفاء من ألم الشقاء. كثيراً ما جلست مع نفسي أتأمل حياتي وذاتي وصوتي وسكوني وصمتي، فأنا لست واهمة، لكنني إنسانة حالمة، فالأحلام أكثر متعة أجيدها، وأفضل هواية أمارسها. بعد أن دربت عقلي على أحلام اليقظة، أقوم باختيار ما يناسبني من المواضيع، وأحدّد الزمان والمكان والأشخاص والمسميات والمراكز والألقاب والأدوار، حسب رؤيتي للأمور، وأضعها في إطار خاص، فأعيش كلّ مراحلها لأحقق من خلالها كلّ ما عجزت عن تحقيقه، فأنا لم أكن أطمع يوماً بأكثر من قدراتي، ولم أكن أتمنى أكثر مما أستحق، ولم أطلب المستحيل، كلّ ذنبي أنني كنت أحلم بصورة واقعية لحياة رائعة ومثالية، وعندما عايشت الواقع اكتشفت أنّ الواقع كان مجرد حلم. عندما خذلتني سعادتني وتحولت حياتي لعيب نفسي ومعنوي، وفكرت هل أستسلم وأفقد ثقتي في إسعاد نفسي، أم أروي مشاعري؛ حتى لا تموت كما ماتت آمنياتني؟ لذا أصبحت أحلامي هي منفي، ومنتفسي، ووليفتي، أمارسها كلّ يوم بإعطاء نفسي راحة، أقفل بابي، وأغلق هاتفي، وأطفئ أنوارني؛ لأفقد كلّ اتصال بالعالم الخارجي، وأبدأ بنسخ قصة جديدة ألعب فيها الدور الأول، وكلّ يوم أحقق فيه نجاحاً جديداً بشكل مختلف، فلا يوجد هناك ما يجبرني أن أستيقظ من دون أن أضع نهاية تناسبني وأستمتع بها، فأنا فعلاً أشعر بالراحة والسعادة لإنجازي هذه الخطوة في حياتي بنجاح، فأحائي لنفسي بالسعادة جعلني سعيدة ولو للحظات، وتدريب نفسي على الراحة ملاً إحساسي بالدوء والأمان ولو لدقائق، فأحلامي هي عالمي، مملكتي، دنياي، كوكبي، ومناخي، ومن خلالها أقوم بوضع كلّ شيء في مكانه، ففيها أصالح، أعاند، أنفعل، أعضب، أبكي، أضحك وقتما أشاء، أسافر، أجري، أقفز، أجلس، أسمع، أتكلّم، أصمت، أرى كيفما أريد، أكتب، أقرأ، أعمل، أسهر، أنام، أستيقظ متى شئت، أمر، أنهى، أنفذ، ألغي، أرفض، أحب، أكره على هواي، ففي أحلامي تتملكني الشجاعة فأقول رأيي بصراحة، وأتكلّم بصدق وأدافع عن حقوقني، وأواجه كلّ من ظلمني؛ فأسامح أو أنتقم، وفي أحلامي أسكن شكّي، وأحسن طنّي، وأفرح قلبي، وأشبع حنانني، وأسلي وحدتي، وأعزي تعاستني، ففي أحلامي أتخيل قلباً كبيراً يحتلني ويوقظ مشاعري، قلباً أتوه معه في دروب الوديان وبين الأشجار من دون أن نخطط، لذلك نفعل ما بدا لنا؛ نقرأ، نبحث، نكتب، نحلم، ونرحل من مدينة لأخرى بعيداً فوق الرمال، ونبحر ونغوص معاً عبر متاهات العالم، نجري ونقفز، وعندما نتعب نغفو على أقرب ظل شجرة. ستقولون إنني أخدع نفسي، نعم.. أعرف، لكنني اتفقت معها على هذه الخدعة، فمن يملك الحقّ في محاسبة أحلامي وإثبات وقائعها أو إدانتها ومصادرتها؟ فأحلامي كأفكاري، كخيالاتي، كأوهامي، كجنوني، ورومانسيتي، لا يملك أحد الحجر عليها، وفي النهاية أكسب الجولة؛ بتحقيق التوازن الشامل في جميع نواحي حياتي، وفي النهاية أنا مؤمنة بأنّه لا مفر لي ولا راحة إلا باللجوء لرب العباد، فأتوجه بكيانني كلّهُ إليه سبحانه، فتذرف عيناي الدموع، ويخضع قلبي لجلال الله، وأدعوه: يا رب يا فارح الهمّ فرّج همي. لحظتها يسكن بحر أحزاني، ويعيش قلبي بهدوء واطمئنان، وأتأكّد بأنّ شيئاً من الواقع لم يتغيّر، ولم يتغيّر سوى ما بداخلي.

